تاريخ الهجرات الصهيونية ، ودولة اسرائيل منذ انشائها وحتى انتصارها التاريخي الحاسم عام ١٩٦٧ — والكتاب منشور بعد هزيمة يونيو — دليل على هذه القدرة .

ومن هنا تتضح فائدة هذه الدراسات . انها تحذير « اكاديمي » للغرب ، كي لا يقع هذه المرة فيما وقع فيه الاستعمار البريطاني من قبل وأدى الامر الى التصفية الاليمة والمهينة في المنطقة. اليوم فرصة جديدة لاصلاح أخطاءالليبراليين الرومانسيين — الذين صدقوا ان المنطقة يمكن ان يقوم بين شعوبها نظم حكم قوية حديثة . حذار اذن من التعاون وتكرار مسلك ونجت واللنبي ، والثقة في « ثورة » مزعومة او « اصلاح » مزعوم او حتى في وجود « معتدلين » . واثناء أية تسوية للمواقف — الراهنة — بعد ١٩٦٧ ، على رجال السياسة الغربيين ان لا يركنوا الى أي ضمان يقدم لهم من هؤلاء « المعتدلين » فهم سيعيدون — في الوقت المناسب — ما صنعه اسلافهم ايام الاستعمار البريطاني .

ولهذا فان المؤلف يخصص الدراسة الاخيرة في كتابه لمواجهة ما يراه خطأ في الفكر السياسي البريطاني الذي تتبناه الدراسات التي ينشرها بانتظام من تشاثام هاوس المعهد الملكي للشئون الخارجية ، ويقول الكاتب انه في هذه المنشورات يمكن لمن يتابعها ان يجد افكارا وفروضا واتجاهات مشتركة تكون في مجموعها مدرسة فكرية متناسقة . ويركز قدوري هجومه على هذه المدرسة في شخص مدير دراسات المعهد لمدة ثلاثين عاما — ارنولد توينبي ، فيقول انه في كتابات هذا المؤرخ نقرأ صوت الراديكالية الانجليزية وهي تعلق اعترافها بالاثم وندمها على ما سبق ان ارتكبته من مظالم تجاه العالم ، لقد غزونا وتسلطنا وتحكمنا ومارسنا الاستغلال ، والحديث عن العلاقات البريطانية العربية هو المناسبة المثلى لاعلان هذا الشعور بالاثم ، فهذه فكرة موجودة دائما في كتابات توينبي ومدرسة تشاثام هاوس ومنذ بداية عمل توينبي في المخابرات البريطانية تولد لديه اقتناع ثابت بأن معاملة انجلترا وفرنسا للعرب لم تكن مستقيمة ولا عادلة .

بالاضافة الى ذلك — فقد سلم توينبي بأن هناك رغبة في الوحدة السياسية تشمل المنطقة العربية، وكان التقسيم من صنع بريطانيا وفرنسا دون احترام لرأي ابناء المنطقة .

ما هو رأي قدوري في ذلك ؟ يعتبر المؤلف ان هذا الموقف من جانب توينبي يتضمن قبولا دون أي تمحيص بمزاعم أقلية ضئيلة ليست لها صفة تمثيلية واسعة النطاق في العالم المتحدث بالعربية ... ان الصورة التي يعرضها توينبي وزملاؤه للمنطقة وما يملأ كتاباتهم من غوامض مشحونة باخلاق الشعور بالاثم تخفي الازمة الاخذة بأعماق المنطقة ويحكم قدوري على مناصرة توينبي للحق العربي بأنها نظرة سياسية قاصرة .

ويتابع الكاتب بعد ذلك كتاب هذه المدرسة كيرك ولونجوج وجب ومن خلال ذلك يرفض بصفة قاطعة وجود وعي بالوحدة بين الشعوب المتكلمة بالعربية او ان الحدود التي وضعت عام ١٩١٨ هي حدود صناعية الامر الذي يفترض ان العالم المتكلم بالعربية يكون وحدة سياسية .

ولقد خصص قدوري في كتابه دراستين عن العلاقات البريطانية مع حركة الوحدة العربية ، الاولى تغطي السنوات ١٩١٥ — ١٩١٨، والثانية تشمل الفترة من الحرب العالمية الاولى حتى سقوط الاسرة الهاشمية في العراق عام ١٩٥٨ . وفي هذا كله يرى قدوري ان المسألة العربية ، بالمقارنة مع المشاكل الضخمة في اوروبا وامريكا تبدو صغيرة ضئيلة القيمة ، وبالنسبة للتاريخ البريطاني فان المسألة العربية ذات العمر القصير لا تظهر سوى حادثا عارضا في اطار الوجود الامبراطوري في الهند وهو يرى صدق اولئك الذين يقررون انه لو ان بريطانيا كانت قادرة على الاحتفاظ بالهند فقد كانت تستطيع الاحتفاظ بمركزها في الشرق الاوسط ويأسف لانه لا يجد هذه النظرية الباردة الواقعية في كتابات المعلقين الذين يحصرون همهم في موازنات بين النيات الطيبة والسيئة حفظ الواعد ونكثها ، بحث النوايا وفحص الدوافع . أما اولئك الذين كانوا يرون ان التخلف مع انصار الفكرة العربية يخدم المصالح البريطانية فقد اثبتت الاحداث عدم صحة ما يذهبون اليه ويعيب على السياسيين ترددهم واستحياءهم بمناسبة الاتفاقات المتعلقة باقتسام النفوذ بين القوى العظمى مثل ما حدث بشأن معاهدة سايكس بيكو ، ويبدي خشية من ان مواقف الضمير الليبرالي الحساس من هذه